فلسفة الاخلاق و الرؤية الكونية

م. عبد الرحيم احمد علي الحصيني
جامعة ذي قار / كلية الآداب/قسم علوم القرآن
thiqaruni.org

المستخلص:

مباحث الاخلاق وفلسفتها من المباحث التي لفتت انظار الفلاسفة الاوائل وحتى هذا التاريخ ، ولما كانت فلسفة الاخلاق تتناول المبادئ والقواعد لذا اتجهت بدراستها نحو عدد من القواعد منها ما هو المقياس الخلقي الذي تتحدد على اساسه المظاهر الاخلاقية عن غيرها ، ثم ما هو مصدر الالتزام في الممارسة الخلقية ، ومنها دراسة اسس الخير والشر بغض النظر عن المصاديق ، ومنها هل ان الاخلاق مطلقة ام نسبية ومتغيرة ، وهكذا يهتم هذا الحقل بتحديد غاية الانسان في الحياة من حيث كماله وتحقيق سعادته ، وتبرز دراسة العلاقة بين الرؤية الكونية والاخلاق كأساس لتقييم تاريخ الحضارة حيث نجد للفلاسفة مدارس مختلفة ومحاولات عديدة تناولت الربط بين الرؤية الكونية والاخلاق كنظرية الواجب ، ونظرية المصلحة ، وما تناوله نيتشه و هيغل واسبينوزا وغيرهم ، وللفلاسفة المسلمين دورهم ومناهجهم في هذه المسالة والمتتبع لنتاجهم في هذا الميدان سيجدهم قد تناولوا المدارس المخالفة بالنقد خصوصا المدارس التي استبعدت الغيب عن تفكيرها وربطهم المحكم بين الرؤية الكونية وعلاقتها بالقيم وبالتالي توصلهم من ان الحضارة لا تنهض الا بالتوفيق والترابط بين هذين الامرين أي الاخلاق والرؤية الكونية .

Abstract

Ethics researches and their philosophy were those that drew the early philosophers attentions up to this time. and because the ethics philosophy was dealing with the principles and rules it targeted its studies towards a number of rules it targeted its studies towards a number of rules such as the ethics scales by which the ethics phenomena were differentiated from others . then what was the obligation source in the ethics practice . parts of these are the studies of good and evile away from the specifications of man's aim in life in respect of his filfulness and happiness achievements .the study of the relationship between the universal attitude and ethics appears as the basis to evaluate the history of civilization where we find different schools of philosophy and many attempts to deal with the relationship between the universal attitude and ethics as theory of duty and a theory of interest and what niche , Hegel and Spinoza and others have studied the Muslim philosophers have their Owen rules and theories in this case .

And in following their products and outputs in this field , we will ind out that they have dealt with the opposing schools by criticism , especially the schools that put the invisible out of their thinking with their strong relating between the universal attitude and its relationship with the values and then their conclusion that civilization could only develop by the reconciliation and relationship between these tow issues , namely ethics and the universal attitude

المقدمة

تحتل مباحث الاخلاق و فلسفتها مكانا رفيعاً في موضوعات كثير من مجالات المعرفة و الذي يطالع تاريخ الفكر البشري منذ قرونه الاولى سيجد مباحث الاخلاق تحظى بأهمية خاصة في الدين و الفلسفة و الفن و غيرها و لكن رغم الاهتمام التاريخي بمباحث القيم لكنها تظل مفهوماً سائبا و مثيراً للجدل حيث تناولها الفكر البشري بمعزل عن ارشادات السماء و لعل السبب يعود الى الخلط بين مجال الممارسة اليومية و نزعات الانسان و رغباته الدنيوية و كذا العادات و الخصوصيات المحلية التي تشكلها الحياة و وسائل الاعلام و ما تضلله النخب و مؤسسات الهيمنة السياسية على طول التاريخ و تلاعبها في المعايير و القيم كما يدخل عامل اخر في تضليل القيم ذلك هو مجال الدراسة الذي تتناوله الفلسفة بمختلف رؤاها حول الوجود و الانسان مما ينعكس على طبيعة تفسير القيم وانماطها و قد برز في هذا الميدان الاتجاه الذي يسعى الى انتزاع القيم عما يظن تدنيسها من الواقع وضحالته والتحليق بها عبر محاولة تحييدها عن الحياة واقصائها عن مشاريع الاصلاح و الثورة و في مقابله الاتجاه الذي يعتبر القيم انعكاسات ألية مباشرة لما هو سائد و لكن الدراسة التي بين ايدينا تحاول تسليط الضوء على الاتجاه الواقعي للقيم الذي يجعل منها قوة حية و فاعلة لبناء الحضارة و استنهاضها عن طريق القيم الالهية لا التي جاءت من اختراع الانسان و اسقاطاته المحصور في حضارته و ملابساتها و انما القيم التي بشرت بها السماء على يد الانبياء و صاغت منها منظومة تكفل للانسان تقدمه و تكامله بشرط ان تشكل معياراً لمحاكمة الواقع و تقييمه على اساسها و قد يقع الباحث حين يتوغل في مباحث القيم في مشكلة الأختزال و التجزئه عن منظومتها كما انتهت اليه كثير من البحوث و التجارب من هذا النوع الى نتائج عقيمة و باهته لعدم ربطها بالرؤية الكونية و ان الاخلاق مفصل لا يتجزأ من الرؤية الشاملة للوجود لذا سلطنا الضوء على اهمية هذا الربط ونتاجاته اي علاقة فلسفة الاخلاق بالرؤية الكونية كتأسيس لبحوث لاحقه ضمن عدد من الفقرات :

اولاً: الاتجاهات الفلسفية في معيارية الاخلاق

من المسائل التي شغلت علماء فلسفة الاخلاق في البحث عن مشروعية القيم و مصدرها و إنقسم العلماء في البحث عن هذه المسألة الى عدد من الاتجاهات و المدارس (١) كالاتجاه الذي يرجع القيم الى المجتمع الذي تزعمه (دور كهايم) و الذي يذهب كون القيم وليدة المجتمع و لها من السلطان ما يجعلها تفرض نفسها على الفرد و لا تتاثر به و قد أجيب عنها بعدة ردود أهمها ان هذا يعني ان لابناء المجتمع ولاية علينا عقلا لكن لا نجد في عقولنا ما يدل على هذه الولاية ثم ان الفرد يشعر بلزوم التمرد و الثورة على بعض القوانين الاجتماعية و العمل على تعديل القيم السائدة و إبداع قيم جديدة و قد يُعد هذا التمرد أخلاقيا وبطولياً فكيف يُعد قبيحاً لا أخلاقيا بالاضافة ان هذا المبدأ يعد سلاحا بيدالطغاة لقمع الحريات الفردية تحت شعار إرادة المجتمع (٢) من هذه المدارس الاتجاه الذي يرجع القيم الى المصلحة و المنفعة والذي يلزم الانسان بان يعمل لتحقيق مصلحته أو شهوته والمصلحة تُعد بنظر هذا الاتجاه اساسا للحكم الاخلاقي و المصلحة قد تكون ما يلتذ به الانسان كما يدعى ان المقياس هو المصلحة التي تعني الكمال و النقص الذي يعني الألم و قد تزعمه قديما ابيقور٣٤١-٢٧٠٠ ق م)وحديثا توماس هوبز(١٥٨٨-١٦٨٩ م) الذي يرى ان الانسان أناني بطبعه و ان جميع الدوافع الانسانية تهدف الى حب الذات وان تحقيق الشهوات يرمى الى حفظ الحياة (٣)و هذا الاتجاة انبثق عنه فريق يذهب الى كون المنفعة يجب ان تشمل كل الناس و قد مثل هذا المذهب جرمي بنتام (١٧٤٨-١٨٣٢م) (وجون استيوارت مل ١٨٠٦- ١٨٧٣ م)ويرى هذا المذهب ان مبدا السلوك هو تحصيل اكبر قدر من المنفعة لاكبر عدد من الناس كما مثل هذا المذهب البرجماتيون الذي قاسوا كل فكرة و عقيدة بمقدار ما تؤدي من منفعة و كل فكرة لا تعبر عن الحق الا اذا أدت الى منفعة (٤) و قد أجاب على هذا الاتجاه من ان المعارف لا يمكن تقسيمها الى حق و غير حق على أساس النفع و الضرر لان حقانية الامور لا تقاس بذلك و انما تقاس بمطابقتها للواقع و عدم مطابقتها كذلك و ربّ واقع و حقيقة يكونان مؤلمين و ربّ حقيقة و واقع يكونان ضارين وهناك امور نعلم بها ونتألم منها و نعلم انها تضرنا بينما هي حقائق واقعة و لذا لا تقاس المعرفة وفق المنافع و المفاسد ثم ان هذا الاتجاه ينكر الفضيلة و الرذيلة على هذا الاساس و لا يعدها مقياسا للحكم الاخلاقي فلا يصح ان نحكم بان كل تألم قبيح و كل التذاذ حسن ثم ما هو المبرر لتضحية الفرد بمصلحته من اجل المصلحة العامة او لذتة من اجل لذة المجتمع في حال تزاحم المصلحتين خاصة في مورد التضحية بالنفس و المال ،كما ذهب اتجاه أخر حيث جعل العواطف هي المعيار و المراد كون العاطفة هي

المعيار ان العقل يحكم بحسن ارضاء العواطف وقبح مصادمتها و المقصود ان الفضيلة هي ما تحكم به العواطف والعمل يكون صحيحا واخلاقيا اذا كان مطابقا للعاطفة المحايدة النزيهة كحب الاباء لابنائهم و كل عمل حسن لمطابقته للعاطفة الانسانية وان كشف اسرار الناس قبيح لمخالفته للعواطف الانسانية و قد تزعم هذا الاتجاه كل من (شوبنهاور واغيست كنت)و غيرهم و قد اجيب على هذا الاتجاه كون العواطف ليست مدركة و انما هي مجرد انفعالات نفسية خالية من الادراك فاذا كانت هي المقياس فلا تكون حقيقة مدركة وسوف يستسلم الانسان لشهواته ثم ان العواطف و ان كانت تدفع نحو الخير الا انها قد تدفع نحو الشر في موضع اخر مخالف فالرأفة و الشفقة على من تعاقبه الدولة بسبب ارتكابه جريمة القتل لا تكون هذه العاطفة عملا أخلاقيا لانها اصبحت تحمي الجريمة (٥)ويوجد اتجاه أخر يفسر القيم و الاخلاق الذي يطلق عليه بنظرية الوسط و من أقطاب هذا الاتجاه سقراط الذي يعتقد ان الفضيلة معرفة و الرذيلة جهل فمن لا يعلم الفضائل لا تصدر عنه أية فضيلة فالكرم ليس هو العطاء فقط وانما معرفة كيفية العطاء او متى يجب البذل اما الاحسان لا قيمة له حتى يعرف اهمية الاحسان و معرفة كيفية الاحسان و العفة هي معرفة متى يجب ارضاء الشهوات و متى يجب قهرها و العدالة هي معرفة المباح و الحرام والخطأ يحصل بالعلم فالقيم تؤدي عملها متى تم الوعي بها فالذي يعلم بالرذائل لا يمكن ان يلوث نفسه بها وبهذا فان سقراط يركز على العلم الذي يشكل وسيلة لتحقيق الفضيلة وطريق لتطهير النفس والشرور ناشئة من الجهل و قد أُجيب على هذه النظرية بان الانسان قد يعمل عملا صالحا و يحمده الناس و يكون عمله فضيلة و ان كان غير واع به و الشي لا يتوقف على العلم به و لا يمكن ان نقول ان الانسان لا يكون فاضلا الا اذا جاء بالفضيلة عن علم و ان القوة التي تتولد عنها الارادة ليست منحصرة بالعقل و انما هناك قوة اخرى تساهم في توليد الارادة(٦) كل هذه الاتجاهات و الاراء سواء ما يطلق عليها بمفهوم الغائية للاخلاق او مفهوم الالية العلمي الذي بشرت به النهضة الاوربية التي فسرت الاخلاق بطريقة الّية و علمية بسبب سيادة المذهب التجريبي ونظرية التقدم التي أمن بها الانسان الاوربي التي تفرض على الباحث ان يتناول الاخلاق وفق المنهج الذي قدسه و امن به مما تكون النتائج حول القيم مختلفة و الذي يحسم المسألة هي الابدية دراسة الموضوع الذي تصدر عنه القيم و هل ثمة علاقة تكوينية ذاتية بين الانسان والقيم او ان للقيم عواملها خارجية ام ماذا؟ الامر الذي يتطلب البحث والدراسة للنظريات التي تناولت الانسان و لكن رغم تعددها نجد ان معظمها يرجع الى الفلسفات التي تناولت معنى الوجود بما فيه الانسان اذن مرة نتناول الانسان بمعزل عن أية رؤية فلسفية للحياة و الكون و مرة نتناول الانسان ضمن الرؤية الكونية للوجود وبالتالي نلحظ القيم من خلال تلك الرؤية التي تتضمن الانسان و القيم و انعكاس ذلك على تفسيرنا لهذه الظاهرة ثم ندرك بعد ذالك طبيعة الاختلاف حول القيم و تناقض المعايير الاخلاقية و مقاييسها ، و اذا توصلنا الى الربط بين معنى الانسان و القيم و مصدريتها ثم معرفة الانسان و قيمته وفق الرؤية الكونية التي تطال الانسان و الحياة معا و بناء على هذه التراتبية نرى من المناسب ان نستعرض بعض النظريات التي تناولت الانسان انطلاقا من رؤيتها للكون و الحياة ضمن هذه النظريات التي ترى ان الانسان الموجود يتحرك ضمن قوانين جبرية تتحكم في مساره التاريخي و كل ما ينطوي عليه الانسان من مشاعر و رغبات و افكار ما هو الا أنعكاس لواقعه الاقتصادي (٧) فالانسان منفعل بما تملي عليه وسيلة الانتاج من الصراع الطبقي فالانسان لا يتعدى وجوده المادي و هو خاضع لقوانين تاريخية صارمة فهو اذن مرأة تعكس ما يحيط بها و الانسان محصور في بيئته الاجتماعية و لما كان الانسان وفق هذه النظرية خاضع لمسار التاريخ الذي يملئ عليه طبيعة الاخلاق المنسجمة مع المرحلة الاقتصادية وبما ان التاريخ في حركة وتجديد و تبديل و تغيير في وسائل الانتاج اذاً الاخلاق والقيم متغيرة تبعا لهذا الصراع الطبقي المتغير وهذا ما ينعكس على القيم فتكون متغيرة تبعا لذلك .

النظرية الاخرى التي ترى بان الانسان يمتلك قوه فطرية تدفعه نحو المطالبة بالكمال و تدفعه بان يتحرر عبر تمرده على الواقع الانتاجي و فيه من القوة التي يتعالى فيها على الظرف التاريخي و ان يتحكم بذاته والتحرر من قيود الطبيعة والتعالي على الغرائز و المصير المحتوم (٨) و الاخلاق بموجب هذه النظرية تكون أصيلة في الانسان و ثابته بثبات صفاته التكوينية التي فطر عليها و ان طبيعته الانسانية تدفعه لان ينشد القيم السامية و على هذا الاساس نرى بان القيم واقعية غير اعتبارية وتنسجم مع ما جبل عليه كما ان الانسان وفق هذه النظرية يمتلك الحرية و الارادة لان يختار ما يناسبه فاذا التزم القيم استطاع ان يغير التاريخ فيكون فاعلا فيه ومغير له بعكس ما تذهب اليه النظريات التي تفسر التاريخ على اساس القوانين

الجبرية والانسان لا يتعدى اكثر من كونه أداة يملي عليها التاريخ حركته . (٩)

اما النظريات التي تناولت الانسان في اطار فلسفة الاخلاق أو فلسفة التربية أو الاجتماع أو علم النفس كانت كلها خاضعة لطبيعة المرحلة التي ولدت فيها و كانت من نتاجها و انعكاس لما أتت به المرحلة كالنظريات التي اسس لها العقل الاوربي التي جعلت من فكرة التقدم و قيمته مركزا لنظرياتها وتناولت الانسان كونه محورا للوجود و الهته ثم بعد ذلك الهت العقل متجاوزة العصور الوسطى التي هيمن فيها العقل اللاهوتي الذي فسر القيم تبعا لمرحلته ونشأت عن تلك المرحلة مدارس ونظريات عديدة تناولت الانسان و القيم .

النظرية الاولى : ترى أن الانسان طيب في حقيقته و هو كائن حسن وان الانسان اكثر الكائنات تكاملا في الطبيعة وهو أشرف موجود فضلا عن كونه محورالوجود و مركزه و قد نوقشت هذه النظرية بالقول نحن لم نكتشف عالم الطبيعة بالكامل و لم نحيط بها علما و بجميع الكائنات وتقارنها بالانسان لنقول بعد ذلك ان الانسان أشرفها و هذا الاستقراء ليس تاما ثم ينبغي عدم الخلط بين التنوع في مواهب الانسان و طاقاته و ما به من الابعاد وبين اتصافه بالافضلية على غيره من المخلوقات .

النظرية الثانية : وهذه النظرية ترى بان الانسان سيئ بطبيعته كما ترى بان الانسان كائن اناني و قد اجاب البعض على هذا النظرية بقوله يوجد اناس عظام يؤمنون بالقيم والى جانبهم اناس قد استولت عليهم الوحشية و الانانية فلا يمكن الالتزام بها على وجه الاطلاق .

النظرية الثالثة : ترى بان الانسان فيه قوى غامضة لم نتوصل الى بيانها بمعنى اننا لا نعلم على وجه الدقة ما هي المبادئ الاساسية التي تقوم عليها طبيعة الانسان و الذي نعلمه خضوع الانسان للهوى و الانانية عبر التاريخ و قد تعرضت هذه النظرية للنقد حيث جاء في ذلك انه لا يمكن الزعم باننا لا نملك تصوير عن المبادئ الاساسية التي تقوم عليها طبيعة الانسان اذ اننا اكتشفنا عدد من جوانب الانسان من قبيل بعده الفسيولوجي و النفسي والاجتماعي من جهة ان التاريخ قد سجل لنا ممارسات متفاوتة للانسان منها تمسكه بالقيم الفاضلة و المتسامية و الاخرى المنحطة (١٠)هذه التجاذبات حول الانسان وتفسير القيم كانت أجوبة لتساؤلات انسان ذلك العصر لذا نجد بعض الفلاسفة كسقراط مثلا يؤكد كون اللذة العقلية بديل عن اللذة الشهوية و ان التأمل العقلي هو القاعدة للعمل و الفضيلة و ان الاخلاق القائمة على العقل هي التي تعطي اللذة الحقيقية وتؤمن للمصلحة الحقيقة ولهذا لم سقراط يكترث بالمحاولات الفلسفية التي تريد ان تصل الى النظرة الكاملة للكون لتربطها مع القيم الامر الذي جعله يؤمن بالتفكيك بينهما ودفعه ايمانه ان يهتم بالابحاث ذات العلاقة بالانسان و في علاقته مع نفسه ومع المجتمع(١١) وهكذا نجد إفلاطون والرواقية شعروا بالحاجة الى استعادة الصلة بين الاخلاق و النظرة الكونية وهذا الذي يفسر لنا قول سقراط على ان التصوف الاخلاقي المبنى على الصوت الداخلي يحل محل النظرة الكونية الكاملة التي تكون في المستقبل اساس المصير الاخلاقي للانسان لكن إفلاطون يبحث عن المعنى العام للخيرو اتخذ نظرية المثل كبديل لذلك(١٢)

ثانياً: الاخلاق ما بين فكرتي الواجب والمنفعة

البعض يذهب من أن الواقع الاكثر مشروعية في الانسان هو الانانية وهو الذي يسهم في ايجاد الخير للانسان هذا المبدأ حسب هذه النظرية انه لا يوجد في الانسان شيء يمكن ان يحبه ويحترمه غير استرذال الذات و اذا وجب شيئا ما مثل اللذة لابد ان ينفع نفسه و الانسان وفق هذه الرؤية قد تحول وسيلة تابعة للشهوات و ان لم تكن غايته الكمال فيرى أن كماله يتحقق في اشباع ذاته والمصلحة عند اصحاب هذه النظرية تعد مقياسا للحكم الاخلاقي فالفضيلة ما فيها المصلحة والرذيلة ما فيها المفسدة والضرر ومعنى ذلك انه يقصد بالمصلحة والمفسدة بهذه النظرية ان المصلحة تكون في الشيء الذي يكملنا والضرر يكون في الشيء الذي يؤدي الى النقص فينا ولكن الكمال والنقص هما غير اللذة والالم فما يعد كمالا قد لا يلتذ به الانسان كالعلم فهو كمال دون شك لكن بعض الناس لا يعرف للعلم لذة وكذلك الشجاعة والعقل كمالات ولكن لا يوجد انسان لا يعرف للشجاعة ولا للعقل من لذة وكذا الحال في النقص فالجهل نقص دون شك وبعض الناس لا يتالمون لنقص الجهل فيهم كالغبي والمعصية نقص وبعض العصاة يلتذ بمعصيته ، والالم واللذة غير الكمال والنقص فنحن نلتذ بالاطعمة الشهية بينما هي ليست كمالا ونتالم من حر الصيف وهي ليس نقصا وهكذا فان هذه الشواهد تدل على ان باب اللذة والالم غير باب الكمال والنقص اذا هناك تداخل بين العناوين ولكن يدعى بان المقياس الدقيق هو اللذة والالم وكذا الكمال والنقص ولكنهما يصبان في عنوان جامع هو

عنوان المصلحة والمفسدة و المقصود بالمصلحة الجامع بين اللذة والكمال ويقصد بالمفسدة الجامع بين النقص والالم ويسميان بالسعادة والشقاء فالسعادة هي الحصول على اللذة والكمال معا والشقاء عكسهما وقد نوقشت هذه النظرية كون المعارف لا تقاس وفق المنافع والمفاسد وهذا الكلام اقرب للقبول من دعوى ان ما فيه نفع فهو واقع وحق وان الذي فيه ضرر باطل وغير مطابق للواقع وليس من المعقول ان نفترض ان كل التذاذ هو حسن وكل تألم هو قبيح وذلك بعد الالتفات الى امثلة عرفية وجدانية كضرب اليتيم لمجرد التذاذ الضارب وعليه يكون فضيلة لان فيه التذاذ للضارب وهذا لا يحكم به الوجدان (١٣) .

و يبقى العقل الغربي باحثا عن رؤية كونية تجيب عن اسئلته ولكن لم يصل الى تفسير موحد للقيم بسبب غياب النظرة الكونية المتكاملة للحياة .

اما نظرية الواجب تختلف في معالمها عن نظرية المصلحة ، يذهب عمانوئيل كانت (١٤٠٨ م) الفيلسوف الالماني الى نظرية الواجب التي يعتقد بها كون مصدر الحكم الاخلاقي هو اداء الواجب الذي يامر به الوجدان بمعنى ان قيمة الفعل الاخلاقي تكمن في الاتيان به بداعي اداء الواجب من دون قصد اخر متوقع كاللذة او دفع الالم او ارضاء العواطف وحتى السعادة او الكمال وان كانت هذه الغايات تترتب بشكل طبيعي عليه لا محالة وتعني فكرة اخلاق الواجب اتباع فكرة الخير كمبدا للواجب بغض النظر عن الغاية وتقوم قيمة الافعال في باطنها والارادة الخيرة صالحة بذاتها لا بعواقبها كما انها لا تتحرك بفعل الرغبات والشهوات ، وهذا المبدا ضروري وعام لا يحتاج الى برهان ووجوده فطري سابق على الخيرية والخير الوحيد يكمن في ارادة الخير أي في القدرة التي تلزم الانسان بالانصياع الى الواجب والعمل بمقتضاه واتباع السلوك الحميد وفق الواجب تكسب الانسانية سموا وتقديرا يقودنا الى الفضيلة ومخالفة الواجب تقود الى الرذيلة (١٤)

و يؤكد بان الدافع للاخلاق يجب ان يكون مفيداً و عملياً و دافعه ذاتي لا لشيء اخر و لذا يقول يجب ان يكون للانسان غايته في ذاته و على المرء ان يتخلى عن المطالبة بالسعادة وعليه ان يهتم بها في بعض الظروف مع الاحتفاظ بالتمييز بين الانانية و حب الذات والاحسان و حب الذات يعني رفضها ولكن الحب المعقول الذي يجب ان يقيد بالاخلاق في تأدية واجبه (١٥) وحاول (كانت) ان يطرح الاخلاق وفق نظرية يخلص بها من التفكير الذي ساد في مرحلته ليؤسس للاخلاق اطارها لكن - رغم محاولات هيغل ونيتشه وغيرهما فقد سعوا لايجاد رؤية للاخلاق مرتبطة بفلسفة الحياة - ظل الانسان الغربي شأنه شان من يهتدي بالنجوم التي مهما تكن دلالتها فانها لا تعطينا غير ارشاد ضئيل و يمكن ان يغطيها السحاب أو الضباب و في الليالي العاصفة بعكسه البوصلة التي نستخدمها في السفينة حين نبحر بعيدا(١٦)هكذا شان الحضارة الغربية التي لم تقدم الى الان نظريتها الاخلاقية التي تعتقد الرؤية الكونية وانعكاس ذلك على حياة الانسان و لكن من الصعوبة بمكان ان نحصل على الافكار و المعتقدات التي هي اسس الحضارة الا بالحصول على نظرية كونية متكاملة للعالم تؤمن النهوض له ولكن يبقى السؤال قائم يحتاج الى الاجابة ذلك هو ما المقصود بالنظرية الكونية ؟ يجيب البعض بانها مضمون أفكار المجتمع و الافراد الذي يؤلفونه أي افكارهم عن الطبيعة و عن مبدء الوجود و نهاية مصير الانسان و حقيقة هذا الوجود و ما معنى الانسان و المجتمع و التاريخ و ماذا نريد ان نفعل و نحن في هذا العالم و ما هو المؤمل الذي نحصل عليه وما هو واجبنا و حدود مسوؤليتنا ؟(١٧) وكانت رغم ابداعه الاستثنائي الا انه لم يتجاوز التصور المحدود و الخاص بالاخلاق وفي اضيق نطاقها حيث جعلها لا تتجاوز الواجبات التي بين الانسان و أخيه الانسان ثم لم نجد ه يدخل العلاقات بين الانسان و بين الموجود غير الانسان و لم يحدثنا عن اخلاق الانسان مع الحيوان الا بطريقة غير مباشرة اذ جعل ذلك من واجبات الانسان نحو نفسه فاذا كان هناك مبدأ اساسي في الاخلاق فيجب ان تكون له علاقه بالصلات بين الانسان و الحياة بما هي حياة (١٨). وقد لوحظ على هذه النظرية من جهة علاقتها بالرؤية الكونية كونها اقتصرت على جانبها الاخلاقي ، كما انها في مقام التطبيق والعمل لا تقبل أي استثناء علما ان هناك موارد كثيرة لا يجوز فيها (الصدق) فعلا لما عليه من العواقب السيئة كما اذا تسبب في قتل نفس زكية والسر في ذلك ان قيمة الافعال الاخلاقية ليست ذاتية لنفس العناوين بل هي معللة بغايات مترتبة عليها والامر الاخر ان قصد الغايات النبيلة في الفعل الاخلاقي لا يقلل شيئا من قيمة هذا الفعل وان قصد نفس التكليف انما ينشا من داع اعمق وهو الوصول الى الكمال الانساني .(١٩)

واخيرا ان التصعيد بالارادة والقوة بشكل مطلق في اخلاق الواجب لا يرقي بها ان تكون بذاتها نظرية كونية او انها مرتبطة بنظرية كونية اشمل

وان كان الواجب عنده مفتاح للرؤية الكونية من حيث ان الوعي صورة للوجود الاسمى .

و اذا كانت محاولات فلاسفة الاخلاق لم تحسم المسألة ولم توفق بايجاد نظرية اخلاقية مرتبطة معها و مع الانسان و قواه التي جبل عليها و التي تؤكد الصلة بين النظرية و الاخلاق وبين ما هو هدف الانسان و الغاية من وجوده فردا أو مجتمعا لتصبح الاخلاق بالتالي عنصراً لبناء الحضارة و تستطيع ان توجه سلوكه و تؤثر فيه بحيث تدفعه نحو غيره من الناس وفي العالم كله و تستمد هذه الاخلاق روحها من المثل الاعلى الذي و فترته الرؤية الكونية وبهذا فالاخلاق المرتبطة بهذه الرؤية بالخصوص هي التي تؤدي الى انتاج الحضارة اما التفكيك بينهما لا ينتج لنا حضارة فالاخلاق بدون الرؤية لا تنتج حضارة و العكس ايضا و الواقع الاخلاقي يقرر كون الاخلاق لها دوافع او مرتبطة بالايمان بالغيب وهذا التفسير للرؤية و الاخلاق يجعلنا ان نحكم على نظرية (كانت) بالعجز عن انتاج الحضارة لان اخلاق (كانت) و غيره من الاخلاق العارية عن القصد في الفعل واخلاقه بالرؤية لا تدفع و تحرك الانسان نحو العمل لان شرطها هوان تكون مطلقة وخالية من الغاية بالوقت الذي نجد الايمان بالرؤية الكونية وحدها بدون النظر الى المصدر فهذا لا يخلصنا من الاشكال لانه يجب ان لا تكون الرؤية من انتاج الفكر وحده و من الفلسفة وحدها التي يضعها الانسان نفسه لان الانسان محصور بالحضارة و ظروفها و انحطاطها فكيف ينتج فلسفة حول الكون و الحضارة لتحقق له النهوض و الكمال لذا يقول البرت شفيتسر نحن معاشر الغربين نحلم بنظرية في الكون تتوافق مع واقعنا و تدفع الى العمل و لقد عجزنا عن وضع مثل هذه النظرية (٢٠) و يبرز دور الرؤية و اثرها على الانسان و الحضارة و القيم كونها تستبعد التخبط والعمل بلا غاية و تعطي للدافع الاخلاقي تفسيره من حيث ضخامته وضالته أو فساده أو شره او خيريته ويصرح شفيسر بقوله ان الفكر في الشرق الاقصى كان يعنى عندهم دائما بالبحث عن معنى للحياة و لذا يحملنا النظر في المشكلة و يفسر لنا ما نعانيه من قلق وهي مشكلة غياب الرؤية الكونية التي مازلنا نتهرب عن الاجابة عليها نحن الغربيين (٢١) ولكن معنى الانسان الذي تقدمت لتفسيره النظريات وفق رؤاها الكونية هو الاساس في المشكلة و هو الذي أدى باستبعاد الاخلاق عن حياة الانسان وعدم وصول العقل الغربي الى صياغة نظرية من هذا القبيل و لكن عند الرجوع الى الرؤية الكونية التي قدمها الاسلام و كيف نظرت الرسالة للانسان وللقيم هذا ما سيتم الحديث بخصوصه في الفقرة التالية :

ثالثا: الوحي مصدر تأسيسي للاخلاق

النظرية الاسلامية تذهب كون الانسان يتحلى بمواهب متنوعة للغاية و لم يظهر منها حتى الأن سوى بعضها و يمكن ظهور المواهب الانسانية في حالة تعرض الانسان الى ضغوطات و عوامل قسرية في الحياة مما يجعله يتبدل اوقل يتنقل من حالة الوعي و السلوك الى اخرى مخالفة لسابقتها و من جهة ان في الانسان طاقة فطرية تدفع به نحو الكمال مما يرى في القيم الفاضلة ضالته فيكون سببا لانقاذ القيم بواسطة تجليها في سلوكه و لذا فالانسان يحمل في تكوينه جوانب إستثنائية تمنحه القوة بان يتعالى على ظرفه لان القوة الفكرية و القيمية أصيلة في تكوينه فالضمير يدفع به بان يتحكم في المتطلبات المادية فيجابه التحديات الطبيعية و الاجتماعية (٢٢) ثم ان الخصلة التي تميز الانسان عن غيره هي قدرته على نفسه و هذا الاتجاه السامي في الانسان لم تلحظه الرؤية التي ترى الانسان مخلوقا آليا لا يتعدى العوامل الطبيعية التي تتحرك بلا غاية لان الغاية ليست من اختصاص أصحاب التفسير ألآلي للقيم والرؤية الكونية التي تفسر الوجود كونه اوسع من الاطار المادي لذا فان معرفته في الوجود وفق تلك الرؤية تتعدى مصادر المعرفة عند غيرهم حيث ترى مصدر المعرفة هو العقل والحس بالاضافة الى الوحي و لما كان الانسان لا يمكن ان يحقق تكامله و غايته في الوجود الا بالقيم فيدخل الوحي كمصدر للمعرفة وفق تلك الرؤية فتكون القيم خاضعة لترشيد الوحي اذن فالوحي هو الموجه للانسان و الذي يعين له مصاديق المصالح و المفاسد عبر تشخيصه للقيم و تفسير هذه الرؤية على أن الانسا ن كائن حرو تدخل الارادة في اختياره للقيم فهو بناء على ذلك يتأثر دون شك بظروف البيئة لكن هذا التفاعل لا يسير باتجاه واحد بل ان الانسان يؤثر ايضا على بيئته والمسألة الاساسية في هذا التفاعل هي ان تاثير الانسان على البيئة لا يظهر على شكل ردود فعل جبرية قهرية لانه كما قلنا ان الانسان باعتباره موجودا واعيا حرا و مريدا و مميز بخصائص نظرية سامية الامر الذي يجعله ان يتخذ ردود فعل تختلف عما يبديه حيوان فاقد للوعي من رد فعل وحشية و لهذا فان الانسان يمكن الارتقاء به لحياة افضل وفق العمل بالقيم و لكن بشرط ان يعي الهدف من ذلك لان الوعي بالهدف يجعله يتجاوز الاستغراق بالماديات و الاستجابة للطمع و السلوك

السلبي و هذه العلاقة بين الهدف و الانسان وبين الانسان و قيمه و كيف تحرك الانسان نحو بلوغ السعادة التي تفرض عليه بان لا يكون مفرطا في سلوكه كما هو الحال لبعض الفلاسفة الذين يؤكدون كون السعادة و الهناء في الزهد و في ترك الملذات ومحاربة الميول و الرغبات و قد اجاب البعض على هذه الاتجاه متسائلا ان الانسان لا يملك عدد من الميول الطبيعية نحو بعض الاشياء و هي ما اوجده الله في حكمته في الانسان قاطبة بما فيه الانبياء الذين كانوا يشكرون الله و يحمدونه عليها و هي ما لا يمكن ازالتها و على فرض ازالتها فهذا ليس من صلاح الانسان و سعادته (٢٣) ثم ان للانسان تعلقا اخر وراء الميول و العواطف انه يتطلع نحو الكمال و هذا النزوع فطري بالانسان حيث يسعى لبلوغ كماله ثم ان غاية بعثت الانبياء لم تكن تستهدف إزالة الميول و العواطف و استئصال مصادرها بل ان رسالتهم تؤكد إزالة التعلق والانشداد المتطرف نحو الدنيا التي تمنع من بلوغ الكمال المطلوب و يّظهروا بأن الله و رضاه هو المطلوب و ان للانسان هدف اعلى فوق المادي .

رابعا:النظرة الكونية للانسان و الأخلاق

في هذه الفقرة سوف نتعرض الى الخصوصية التي اعتمدتها الرسالة الاسلامية في الربط بين الرؤية الكونية و الاخلاق بعد ان تعرضنا لمفهومها و اهميتها و دورها في الاخلاق و لما قد اكدنا ان الرؤية الكونية التي تعطي للاخلاق دورها في الحضارة هي الرؤية التي تعتمد الاخلاق و هذا لايتم الا بتفسير الرؤية للانسان و علاقته بالاخلاق لان الحضارة لا تقبل التفكيك أو تقديم تفسيرين احدها بمعزل عن الاخر أذاً الامر متوقف على تفسير الرؤية للانسان و الاخلاق و كيف صنفته و نظرت اليه و انعكاس هذا التصوير على الاخلاق من هنا نجد من الضرورة ان نعطي التصوير الدقيق الذي قدمته الرسالة الاسلامية للانسان بعدها يمكن الخوض في مجال القيم و علاقتها بالرؤية الكونية و السؤال الذي يعترضنا في بداية البحث هل يمكن ان نتعرف على زوايا الانسان و مكامنه وطاقاته التكوينية و المعنوية من جهة خارج الانسان ام من الانسان نفسه ؟

فاذا تم الاختيار لمعرفة الانسان من خلال الرجوع للفلسفات المختلفة في رؤاها للوجود و الحياة و هذا ما يجعلنا ان نحصل على تعاريف مختلفة للانسان ربما قد تخالف الواقع الذي عليه الانسان و نحصل في الوقت نفسه على معاني للاخلاق لا تنسجم مع واقع الانسان وحقيقته التكوينية التي فطر عليها اذن فنحن امام عدد من النماذج المختلفة في تعريفها للانسان!!

كل قد خلق في ذهنه انسانا خاصا بفلسفته بيد اننا نقول :هل يمكن الرجوع للمصدر الذي خلق الانسان لنتعرف عليه عن قرب ؟التصور حول الانسان يمنحنا معرفة حدود الاخلاق و معنى السياسة كما ان معرفة الانسان لها دخل في ما هو النظام الاصلح للانسان و ما هي وسائل التربية التي تنسجم معه لان البعض من الانظمة التي فسرت الانسان برؤى خاطئة مما جعلها تتورط باساليب تربوية خاطئة لا تنسجم مع محتواه و طاقاته الفطرية الكامنة فتعاملت معه بالمادية مما تسبب في تعطيل الجوانب الاخرى التي بها يكون الانسان إنساناً و قد لاحظنا في الفقرات السابقة ان بعض النظريات الاخلاقية تناولت الانسان على ضوء ما قدمه العلم من تفسير و تعاملت معه على هذا الاساس و البعض منها اعتمد بعض الفلسفات التي قدمت الانسان كونه مخلوق متوحش و البعض لاحظ فيه كونه ليس كيانا ثابتا او صورة مثلى لان لكل عصر له مقاييسه الخاصة و الانسان دائم التشكل على الصورة التي يقتنيها و يرتضيها العصر بلا زيادة و لذا قيل ان انسانية الانسان امر لا يمكن ان يوضع له ميزان ثابت و هذا يعني ان الاخلاق و القيم متبدلة هي الاخرى كما ان البعض تعامل معه كقيمة اقتصادية او محكوم بالعوامل التاريخية فكل طاقاته و تطلعاته خاضعه للمرحلة التي ولد فيها اذن فالنظرة للانسان مختلفة تبعا للاختلاف في الرؤية الكونية و قد اجيب على ذلك في الفقرات السابقة و لكن الاسلام من ناحية قدم لنا صورة متناسقة لا تناقض فيها و كشف لنا عن عناصر القوة و الضعف في الانسان و الغير متأثرة بعوامل الحضارة و مصدر هذه الرؤية للانسان هو الوحي لا الانسان النسبي المتأثر بمحيطه العاجز عن تقديم ربط الانسان بالرؤية الكونية الاوسع من مداركه و طاقاته فهذا لا يؤهله بان يقدم لنا صورة متكاملة عن الانسان و من جملة ما قدمته الفلسفة الاسلامية لمعنى الانسان ضمن عدد من الفقرات

الاولى الثنائية ؛ الفلسفه الاسلامية تنظر للانسان على انه مركب ثنائي فهو كما يحتاج في حركته و رسالته الى جانبه البايلوجي فهو يحتاج لمهمته الى الجانب السايكلوجي ايضا و تامين هذين البعدين خارج قدرة الانسان (٢٤) بمعنى ان الانسان عاجز عن تأمين هذين البعدين لنفسه وحاجة الانسان للبعدين يدخل ضمن مقولة علاقة الدين

بالسياسة ومن ذلك تبرز أهميت الاخلاق التي يجب ان يكون تأسيسها منسجما مع الانسان نفسه فالتاسيس للاخلاق يدخل ضمن ملاحظة هذه الثنائيه وهذا عينه الذي لاحظه القران الكريم .

الثانية الغائية ؛ الانسان مخلوق غائي و قاصد (٢٥) في حركته و انها اي القصدية والغائية لا تنحصر بانسان دون اخر بمعنى ان الانسان في هذه الحضارة غائي وفي غيرها محدود الغائية فالترقب و التطلع حالة ملازمة للانسان النوع و هذه القصدية نابعة من داخل الانسان بدون النظر الى انتمائه الحضاري ثم ان هذا الترقب و التطلع ذاتي و قائم في ذات الانسان و مستقر في محتواه فتمرده على الانظمة بشكل مستمر يكشف لنا عن نزعة التطلع لنظام ينسجم مع محتواه و تكوينه فعملية الرفض المستمر للنظم لا علاقة لها بعوامل الحضارة و انما استجابة لنداء الفطرة الاخلاقي الثابت في تكوينه و هذا الرفض مرة و التطلع اخرى منشؤه اخلاقي فنحن اذا لم نسلم بهذه الغائية و بهذا التفسير سنقع في اشكال كون الانسان مخلوقا عبثيا لا غائيا او هو عنصر من عناصر الطبيعة ولا يحمل في داخله عنصرا مقدسا يتعالى فيه على المخلوقات الاخرى و يمكنه من اداء دوره عبر تحفيز الضمير و الفطرة و بمساعدة القيم الوجدانية مما يجعله يمارس دوره الريادي لاعمار الارض بواسطة منظومة الدين التي تتضمن قاعدتها القيمية .

الثالثة الانسان و التجديد :الانسان في محتواه التكويني فيه القابلية ان يخرج عن اطاره المادي ليكون فردا و مجتمعا فوق البايلوجي بواسطة الاخلاق و مفهوم الخلافة ليكسب صفة التجديد و التغيير في حياته لانه يستمد الحركة الاخلاقية من المطلق فهو مازال يمارس دوره النسبي مازال متعلقا بالقيم الربانية المطلقة التي تؤمن لحركة مستديمة تصاعدية نحو كماله المنشود له و بواسطة القيم والمبادئ الربانية يتجاوز الخضوع و الجمودعلى المرحلة أو الظرف و قوانينه ليمنحه هذا التفوق القيمي مستوى من التاثير بما دونه و حتى بما هو مساوي له بفضل استمداده للبواعث و المنطلقات من خارج الانسان و خارج التاريخ والمجتمع و تشكل القيمة الاخلاقية المؤسسة من الوحي مفردات لهذه البواعث و لما كانت القيم من هذا النوع غير محدودة العطاء لانها مرتبطة بالرسالة حيث تنفتح للانسان فضاءات واسعة و دائمة خارج الاطر الحضارية مما تجعله محلقا فوق الواقع و مستشرفا له بروح مؤثرة و مجددة و بهذا تكون حركة الانسان ذات عطاء مستمر و تجديد بلا نهاية بفضل ارتباطه مع التعالي بواسطة القيم من جهة و تحريكه للحياة و المساهمة في بنائها من جهة ثانية

من ذلك فالانسان ليس عنصرا من عناصر الطبيعة (٢٦) و اذا سلمنا بذلك فما هو الجواب عن الجهة التي تمد الانسان بالقوة ليواجه بها مصاعب الحياة ؟!!

الفلسفة الاسلامية قدمت الانسان بهذا التصوير في الوقت الذي ترى الفلسفات الاخرى التي صعدت بالانسان الى مستوى الالوهية وامنت بالتجديد و التطوير الا انها من جهة نكرت اهمية ارتباطه بالغيب (٢٧) و فسرت القيم على انها تابع للمجتمع و الفرد و التاريخ فهذا التصوير لا يعدو اكثر من تناقض وقعت فيه الفلسفات الاخرى لعدم امتلاكها الرؤية الكونية للانسان و الكون الذي قدمته السماء كما مر بيانه .

الرابعة الجانب اللاهوتي : الانسان في القران يتمتع بقيمة و تصوير مغاير للفلسفات الاخرى تتلخص في التفوق على غيره من المخلوقات و لكن باي تصوير قال تعالى :(و لقد كرمنا بني ادم و حملناهم في البر و البحر و رزقناهم من الطيبات و فضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)(٢٨) .

هذا التصوير او قل القيمة الفكرية التي صعدت بالانسان ليكون فوق غيره تعطي ابعاداً كثيرة ،حيث تقدم الانسان حاملا معه قيمته التي تضمن لمستقبله و طبيعة عيشه و علاقته مع الافراد و الحضارات متمتعا بروح معطاءة لما يتمتع به من القوة و القداسة التي منحها الله له هذا اللون من التفوق المقدس المسمى بالتكريم مرة و التفضيل اخرى تعجز كثير من الفلسفات الكونية بان تقدم القيمة الاخلاقية التي تنظر بها الرسالة الاسلامية للانسان حيث قدمت البعض من تلك الفلسفات خصوصا التي استعبدت الغيب في فلسفتها مما اعتمدت الجانب الشهواني في الانسان و حب الذات كقاعدة لتفكيرها القيمي الذي انتج لنا نظريات عبثت في الانسان وخربت قواه الداخلية و حصرته في الذات و شرعت له أخلاقية الاعتداء و سلب الحقوق للامم و الحضارات الاخرى بعكس النظرة الكونية القرآنية التي قدمت الانسان في جانبه اللاهوتي لا الجانب المنحط بمعنى ان الانسان ليس مخلوقا مبتذلا فاضفاء هذه القيمة تمنح للانسان هذا التصوير كما ان هذا الجانب اي اللاهوتي في الانسان فيه من القوة ان يفجر في داخل الانسان حيوية و فعالية تمتد الى الخارج فلما يرى الانسان نفسه انه

مخلوق مكرم بقرار الهي تكويني هذا الجانب يراه المسلم مودعا عند اخيه الانسان ايضا بمعنى ان الانسان يلاحظ القيمة نفسها عند ابناء نوعه كونهم يتمتعون بنفس التكريم (٢٩) هذا الشعور يجعل الانسان مندفعا نحو اخيه بروح المشاركة و التساوي و حرمة الاستبداد واستبعاد روح التعالي المزيف الذي ادعته الفلسفات حين قسمت الحضارات و الانسان على اسس مرة جنسية و اخرى حضارية و ثالثه اقتصادية و هكذا بعكس القيمة التكريمية للانسان تضفى لونا على الاداء السياسي لكن بدون روح المخاصمة التي انتجتها الفلسفات الغربية حول الانسان و النظام لكنها تذوب عند المسلم اذا التزم القيم التي قدمتها الفلسفة الاسلامية بهذا المعنى

الخامسة الانسان مغيّر للتاريخ :يؤسس القران الكريم عنصرا اخر للانسان يمكنه من دور الاستخلاف و الاعمار فأية الاستخلاف قال تعالى : (واذ قال ربك للملائكة ان جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويفسك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون) (٣٠) تعني المسؤولية في الحكم و لكن ضمن البعد الاخلاقي لهذا المفهوم و أية الميثاق قال تعالى : (واذ اخذ ربك من ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا انت تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين * او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون) (٣١) تحمل الانسان مسوؤلية الاصلاح و التغير الاجتماعي و هذا المفهوم يعتمد بلا شك القاعدة القيمية و الاية ترفض التقليد و القاء المسوؤلية على التاريخ أو الطبيعة او على الاخر وهذا الرفض قاعدته أخلاقية واية الامانة قال تعالى : (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقنا وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) (٣٢) تعني ان العرض لها لم يكن عرضا بهدف الحفظ و التزوير و التكتم و الادعاء المزيف اذن فالامانة تعتمد الجانب الاخلاقي ايضا أما العدالة المقابلة للظلم الذي اشارت اليه الاية بان الانسان ظلوما جهولا و العلم مقابل للجهل فهي تعني ان العدالة عمل و اصلاح يصحبه علم و ثقافة لان الانسان يمكن ان يتاثر بثقافة الانحطاط فيكون ظلوما جهولا و يمكن ان يرتبط بثقافة التعالي فيكون عالما و عادلا ومغيرا للحياة ولكن باعتماد القيم لان مفهوم العدالة ومفهوم الظلم مفهومان اخلاقيان و اية الكرامة قال تعالى : (ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) (٣٣) فيها بعد عملي فالانسان الفاقد للكرامة الخاضع للمادة و الشهوة الاسير للملذات لا كرامة له و بهذا فالكرامة ببعدها الاخلاقي عمل وقوة و اصلاح لا اخلاق تراجع او اخلاق شفقة او اخلاق تصوف انعزالي عن الدور الذي انيط به و لهذا فان الانسان النسبي عاجز من ان يقدم رؤية متكاملة للانسان و الاخلاق بعيدا عن الارتباط بالغيب و ان التفكير الذي قدمته الفلسفات لم يستطع ان يقرر مصير الانسان اذا ابتعد عن الغايات التي بشرت بها الديانات للانسانية و في حالة ضياع الرؤية الكونية و منظومتها الاخلاقية هنا ستتعرض الانسانية للانحلال و يدب في روحها الانهزام و الفردية والبؤس ويبقى الانسان اسير انانيته و شهواته و استغلاله لاخيه الانسان اذا امتلك القوة و(ان الانسان ليطغى ان راه استغنى) (٣٤) و بغياب الرؤية الكونية سيحدث من وراء ذلك نتائج لا تحمد حيث نلحظ ان سقوط الامبراطورية الرومانية على رغم من انه توالي عليها حكام على مستوى عالي من الكفاءة الا انها لم تستطع ان تنتج نظرية في الكون فيها من الافكار و القيم مما يجعلها تبقى مستمرة و بغياب هذه الرؤية التي لم تنتج المنظومة الاخلاقية كان هو السبب وراء انهيارها (٣٥) فاذا قلنا ان الحضارة مرهونة بالتقدم المستمر و الابداع و التقدم مرهون بالاخلاق و التقدم يرجع الى الرؤية الكونية المنتجة للاخلاق فاذا غابت الرؤية و عقمت عن المواكبة و لم تكن بمقدورها ان تزود الانسان بالفكر هنا سيصيب الحضارة الاضمحلال اذن هناك ملازمة بين الاخلاق و الرؤية الكونية و احيانا توجد الرؤية و الفلسفة حول الكون و الاخلاق و لكن اذا توقف العمل بموجبها توقف التفكير الذي يضمن التقدم و بالتالي تنشا أُمة تسئ لنظريتها و تتحول الى امة تابعة للغير أو لامم لها رؤاها ونظرياتها حول الكون و الحياة اذن مرة يوجد الحاكم الكفوء و المخلص و لكن بفقدان الرؤية يتوقف الابداع عن المجتمع كله و مرة توجد الرؤية و النظرية و لكن الحاكم يستغرق بالشهوات و يملئ رؤيته و طموحاته الشخصية الا مشروعه على رعيته فتبرز اخلاقية الخوف و الهزيمة و الشفقة بسبب اقصاء النظرية عن التطبيق بفعل ارادة الجمهور نفسه و غياب الوعي الجماهيري عن نتائج الاستبداد المستقبلية الذي يفرض على الشعب كوارث لا يمكن تجنبها فيما بعد

اما النظرية القائمة على الخلو من كل نظرية خيار له من النتائج السيئة و من شأنه ليس فقط القضاء على الحياة الروحية بل و ايضا القضاء

المطلق على كل شيء و مثال ذلك ان القطعة العسكرية التي تفقد الخطة فان الضباط المرؤوسين يقودون القطعة العسكرية الى مغامرات عديمة الفائدة و هكذا مسار الامة و الحضارة اذا افتقدت الرؤية حول الحياة و الكون و هذا يؤدي بالحضارة الى الفوضى و فقدان الهدف و لكن ليس كل رؤية كونيه قادرة على بناء الحضارة و ايجادها و لهذا قد تزرع الميول الجبرية التي تفسر التاريخ بقوانين حتمية على اذهان اتباعها فنشأ ناس مهملين و غير مسؤولين وانانين اذن القاعدة لفهم الاخلاق و دورها لابد من اعتماد الرؤية الكونية و ان الانسان خلق مختارا (٣٦) و من الامور البارزة التي تتناول الاخلاق و القيم و علاقتها بالرؤية الكونية هي كون العلم يحصل بالكسب و التقوى فدعوة الناس الى التقوى و كونها طريق للعلم جاءت من باب رد النفس الانسانية المدركة الى الاستقامة الفطرية لكن الغرائز تقف حائلا امام هذه الاستقامة فالانسان يصل الى كماله اذا عدل قواه و هذبها وفق معطيات العقل و العقيدة وقواه التي تريد الاشباع بلا حدود و لكن المشكلة من الذي يحدد شراهتها هنا يقول كثير من علماء الاخلاق بان القوة العاملة هي الفيصل لانه بقوة العقل يدرك ان الانفلات قوة على حساب اخرى و اطلاقها يؤدي الى الانحراف فالذي يستغرق بالشهوات و حب الجنس و المال و القوة لا يفكر بهموم المستضعفين فهذا ما يؤدي الى ضياع العلوم الحقه عن هذا الانسان و لم تحصل له الموازنة في سلوكه و مواقفه لانه فسر الحياة وفق شهواته (و منهم من الهه هواه)(٣٧) و هذا مرهون بالاخلاق فالذي يهدي الانسان و يفجر طاقاته نحو العلم و الوعي بما يدور هو القيم و التقوى بالذات (٣٨) فالحركة و الحياة و البناء و العمل المنتج الذي يبني الحضارة هو شرط النهوض و الذي يشكل أرضية و قوة يحفظ لنا القيم و الاخلاق بالوقت نفسه ان القيم و الاخلاق تحفظ لنا العلوم و المعارف التي تبنى الانسان و الحضارة بمعنى هناك وعي يربط بين العلم و العمل فالعمل الصالح و الهادف يؤدي الى حفظ القيم كما ان القيم تسهم في الانتاج الفكري و تدفع نحو الابداع و التطوير (ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) (٣٩) و بعكس ذلك نجد ان الانحطاط الاخلاقي و التردي بالرذيلة يؤدي الى الاستبداد و الطغيان (فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة و اتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) (٤٠) و يربط قوله تعالى بين الغفلة و النسيان و التوغل بالجرائم و الشهوات الى تعطيل الفكر و الابداع(و لقد ذرئنا لجهنم كثيرا من الجن و الانس لهم قلوب لا يفقهون بها و لهم اعين لا يبصرون بهاو لهم اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا اولئك هم الغافلون)(٤١)

لماذا نجد الامم تصيبها الغفلة و الانغلاق على الشهوة هنا مرض الغفلة و موت الحضارة (٤٢) يرجع الى عامل ثقافي و معرفي لان الحقائق و المعارف تحتويها الاوعية الخيرة فالمعارف هي التي تبني الانسان و الحضارة لكن هؤلاء قد استبعدوها من حياتهم و لم يعوها لان قلوبهم بمعزل عن فعل ما يناله الانسان من الوعي و المعرفة اما الذي يعيش انسانيته و ارادته و ملذاته العقلية و الانسانية و تعطل قواه فلا ينال بسبب هذا التعطيل لقواه الا ما تناله البهائم(٤٣)

و اذا سلمنا من ان الوعي و المعرفة بالوجود الذي تقدمه الرؤية الكونية التي تؤمن للحضارة بقائها و قيمها و التي منها دور القيم في هذا البناء و تكون العلاقات على اساس القيم التي صاغتها الرؤية و كيف تحيا القيم و يعمل المجتمع بمقتضى تلك القيم التي تعجز التجارب ان توفر لنا القيم من هذا النوع او نبحث عن تاسيس قيم لنلحقها بالرؤية الكونية و لا نحصل على القيم من تقدم المجتمع و رشده لان الانسان كما قلنا عاجز عن توفر مثل تلك النظرية الاخلاقية من هنا يجب وضع قيم و ضوابط منشؤها و مصدرها ليس من الانسان نفسه بل من خالق الانسان و لابد ان تكون جاهزة و لا يمكن انتظارها حتى يصوغها الانسان فلا يمكن ان تنتظر بلوغ الانسان نضجه العقلي ليقدم لنا هذه المنظومة الفكرية و القيمة التي ترتقى بالانسان و هذا ما يحتاج الى مئات السنين ليدركوا ما ينبغي وما لا ينبغي فعله و السبب يعود كون الناس لا يحضون بالعلم و المعرفة الكافية التي تؤهلهم ان يعرفوا ما هي المفاسد و ماهي المصالح الواقعية الدنيوية الاخروية .

خامسا : الاخلاق و دورها في بناء الانسان و الحضارة

هدف الاخلاق كمال الانسان و رقيه و سعادته وفق معيار الرؤية الكونية التي سلم لها العقل سواء كان فردا او جماعة و المناهج السياسية الاصلاحية التي نظرت لرقي الحضارة ركزت كون صلاح الانسان هو السر في نجاح الحضارة فاذا انتصر الانسان انتصرت الحضارة و اذا انهزم انهزمت حضارته و الانتصار يرجع للثقافة و القيم ومنشأ الانتصارات لدى الشعوب وهزائمها يرجع بطبيعة الحال الى الانسان نفسه و القيم و الثقافة هي السر

في ذلك و العنصر الاهم من كل ذلك و هو ما يمز الانسان عن غيره هو العقل و كون الاخلاق خاضعة للارادة و الحرية فاذا انعدمت أخلاقه و فقد الانسان إرادتة اصبح العقل والثقافة خاضعة للاخلاق المنحطة فلا يبقى معنى للانسان لانه فقد انسانيته بغياب عقله و بفقدانه أخلاقه اذن فالانسانية مترتبة على سمو القيم و هناك مرتبة غير المعرفة و هي التقوى فالكرامة و الافضلية للانسان لا تتم الا بالتقوى و هدف الاخلاق تحقيق التقوى التي تعني تجنب الخوض في الرذائل وفق ما تحكم به الرؤية الكونية التي امن بها الانسان وهي عندنا الاسلام الذي يوسع من دائرة الاخلاق ليضيف ايها مفهوم المصالح والمفاسد التي اسسها الوحي سواء ما جاء في القران او السنة النبوية والتقوى تعني ايضا تربية الانسان من أجل الوصول الى بناءه و تكامله وتشييد حضارته على هذا الاساس اذن بناء الحضارة متوقف على الاخلاق و التقوى و النتيجة ان الانسان هو مركز النظرية الاخلاقية وفق الرؤية الاسلامية من جهة لابد لهذا الانسان من نظام أخلاقي يرشده و يحقق له هدفه الاخلاقي و بالتالي ينظم علاقته مع الكون و الحياة ضمن قواعد تحكم علاقته مع خالقه واخلاق تحكم الانسان مع مجتمعه و لا يحصل ذلك بدون رؤية كونية و علاقة بين هدف الاخلاق والرؤية الكونية حسب الاسلام فيما يتعلق بالانسان و الوجود ان هناك علائق غائية بين الانسان و قضايا العالم اي بين الانسان و موجودات العالم من جهة أُصل الخلقة ان هناك غاية كبيرة ينضوي تحتها كل الوجود و الانسان جزء من هذا الوجود فهو اذن يخضع لنفس الهدف و الغاية من قبيل ان للانسان نحو علاقة مع الوجود هي التي توفر للانسان عيشه و ان النعم ملك للانسان فهي اذن طبيعة له (الذي خلق لكم ما في الارض جميعا) (٤٤) و شكر النعمة يعني الاستفادة منها بما خلقت من اجله فهناك اذا نوعاً من الترابط الغائي بين الانسان و الحيوان والنبات و الجماد و النبات يحتاج الجماد والحيوان والنبات و الانسان يحتاج الجميع و لو لم يحصل الانسجام والتعاطي في ما بين هذه الامور لاختلت الحياة كلها لذا ليس من الممكن إنكار الاساس الغائي في وجود الكائنات و على هذا الاساس فان نظام الكون قد خلق من اجل بعضه البعض الاخر و عليه نجد ان قانون الشرع كان منسجما مع قانون الخلقة الكونية ثم قد جعل الله قانون الشرع منسجما مع الفطرة و مطابقا لقوانينها و ما يؤكد الانسجام بين القانونين قوله تعالى : (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم و لكن اكثر الناس لا يعلمون)(٤٥)

و الاخلاق ليس لها هدف الا السعادة (يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا)(٤٦)

فلا يحق للانسان ان يتطرف في عملية الكدح و السير نحو الله من قبيل اعطاء الروح حق اكبر على حساب الجسم و العكس ايضا و هذا التطرف لا يحقق الهدف من كدحه و هو ملاقاة العمل في الاخرة و نيل الجزاء ثم لا يستطيع العلم ان يؤمن هذه الصلة والهدفية للاخلاق لان الاخلاق تاسيسها وحياني والعلم لا يصلح لهذا التاسيس ولا للحكم على الممارسة الاخلاق طبقا من حيث الاطلاق لذا لم ترتبط المشكلة الاخلاقية بالعلم من حيث الايمان بهذه النظرية فلا يكون عملنا اكثر صدقا و وفاء اذا اخذنا بنظرية أرسطو حول الحركة و لم يغير أُخلاقنا و نظرتنا للعدالة لو اخذنا بقانون الحركة عند جاليو نعم ان المفاهيم العلمية لها اثر سيئا في بعض الاحيان خصوصا كالتي هدمت الفكرة التي تقول بان العالم محكوم بنظام غائي (٤٧) مشكلة الاخلاق مرتبطة بحرية الانسان و ارادته فلا يكون هناك معنى للاوامر الاخلاقية اذا كان الانسان يسلك باستمرار سلوكا جبريا فكيف يمكن ان يكون مسؤولا اخلاقيا عن افعاله نعم ليس من العقل ان نعاقب الانسان على فعل لم يكن باستطاعته ان يمتنع عنه (٤٨) شمولية الاخلاق لحركة الانسان فردا و مجتمعا و علاقة ذلك بالدين الذي هو الاخر لا ينفك عن الاخلاق فالرؤية الكونية قدمت لنا هذه السعة من الارتباط اذا لا يمكن الاخذ بالعلمانية التي تسعى لإقصاء الدين و هذا ينطوي على المزايا الرئيسية للعلمانية ان اقصاء الدين عن الحياة ماديا و سياسيا سيؤدي ذلك الى زعزعة الاخلاق و القيم الاخلاقية و انهيارها تدريجيا و من اكثر مركزية هي العدالة الاجتماعية اي السلوك القائم على ما يتطلبه الضمير واتباع الخير و استبعاد الرذيلة من دون ترقب مكافأة على ذلك أو بدافع التهرب من العقاب و هذا الشعور لا توفره العلمانية نعم يوفره الدين اما القول بان من الممكن ان نحتفظ بالأخلاق حتى على تقدير تهميش الدين واقصائه عن النطاق السياسي فهذه الفكرة مشوشه و غير علمية (٤٩) و نظرية(كانت) التي يريد بها فصل الاخلاق عن الدين و من غاية الاخلاق فهدفها هذا يعني استقلالية الاخلاق عن الرؤية الكونية و تحيدها و بفقدانها الغاية ستكون عملا لا مبرر(فكانت) يقيم فلسفته الاخلاقية على التأثير بين العقل النظري الذي يعتمد الحس و التجربة و على العقل العملي الذي يركز

على الفطرة متخذا من الفطرة التي تتجلى في الارادة الحرة معيارا للأخلاق مستنكرا تقويم الفعل الخلقي بأي جزاء خارجي عن ذاته و هو بهذا يرفض الربط بين الفضيلة و السعادة اذن نظرية (الواجب) المجرد الذي سبق الحديث عنها المعيار للفعل الاخلاقي عند ه وجوب الارادة الحرة من كل قيد لا شيء غيرها فالإرادة الحرة بدون غاية مضمومة لها هي الخير و يشترط ان لاتحرك الاخلاق أي منفعة و لا اي غاية اي تجريد الفعل الاخلاقي من القيود ويبقى قيد واحد يصحح الفعل الاخلاقي و هو تحقيق الواجب أما الافعال الاخلاقية التي تصدر عن امر غيرها لا تكون أخلاقية لانها دائما مشروطة بتحقيق غاية دنيوية (٥٠) و هذه الرؤية للاخلاق المنفصلة عن الرؤية الكونية المتكاملة تؤدي الى توقف الاخلاق عن بناء الحضارة و عدم تحريك الانسان و تفجير طاقاته اما بناء الاخلاق بمعزل عن الرؤية الكونية و اعتمادها العقل كمصدر لها فهذا لا يصلح ان يكون مصدرا للقيم و لا هدفا لها و لا يعني ان احكام العقل متصادمة مع احكام الشرع و لكن المعتبر في النظام القيمي هو حكم الله فقط اما حكم العقل لا قيمة له بل ان اعتبار العقل و قيمته من كونه دالاً على الحكم الشرعي و الامر الالهي (٥١) و الاحكام الشرعية ترشد الى حكم العقل و اذا ادرك العقل مصلحة او مفسده يجب العمل بها و لكن احيانا لا يتوصل العقل الى المصلة و المفسدة يأتي الوحي و يدل العقل على المصلحة او المفسدة فبالحقيقة ان العقل يكشف عن الارادة التشريعية الالهية اي ان العقل يهدينا للإرادة و القاعدة الاخلاقية للعمل و كيف يكون منصبا نحو هدف الحياة يجب ان يكون الدافع العملي لا طاعة الارادة الالهية دائما وبدافع كون الله آمر بهذا العمل فالعقل كاشفا عن المصالح و المفاسد و العمل بالقيم الذي يرشد اليها العقل و بالتالي فان العقل كاشفا عن المصالح و المفاسد التي تعين هذا القيم و الاخلاق و اذا انجزنا الاعمال امتثالا لحكم العقل بهدف تحقيق المصالح الاجتماعية للناس فقط هنا افتقد العمل هدفه و لم يزد من الله قربا و بالتالي اذا لم يحقق العمل هدفه الاخلاقي معناه لم يتحقق الهدف النهائي من خلقنا وحياتنا و ان افعالنا و اعمالنا يجب ان تبذل من اجل تحقيق الهدف الاخلاقي والقيمي و اقترابنا من الله رهين اتصاف اعمالنا بالعبودية لله و يكون الدافع في ادائها هو الارادة والامر الالهي فقط

سادسا : الاخلاق جزء من عالمية الدين

تتاكد العلاقة بين الدين و الاخلاق في منظورها الاسلامي من خلال ملاحظتنا للدين نجد الاخلاق جزء من الدين ذلك ان الدين يقوم بالقضايا الاخلاقية و الواجبات فلو جردنا الاخلاق عن صلتها بالدين بهذا ستفتقد الاخلاق ما تقوم عليه من الاساس اذ تقوم الممارسة الاخلاقية على المقاصد القلبية و رضا الله و الدين بهذا يوفر للاخلاق ضمانة التنفيذ التي توفر تجسيدها بنحو حقيقي فالقيم الاخلاقية مثل الحرية والعدال والكرم و الشعور بالمسؤولية لو لم تعتمد هذه القيم على الدين سوف تفقد معناها ثم هناك نحو توحد بين الدين و الاخلاق و ذلك لان هدف الدين تفعيل العناصر الايجابية في الانسان و الارتفاع بحياته على ان تكون فوق المادية و هذا الهدف نفسه الذي تسعى الاخلاق لتحقيقه (٥٢) يقول الكسيس كاريل :لقد تقدمت و تطورت العقول كثيرا و لكن مع الاسف لم تزل القلوب ضعيفة والايمان فقط هو الذي يبعث القوة في هذه القلوب(٥٣) و الايمان له اثر بالغ في الاخلاق و هو الساند لها لان الجذر الاخلاقي مبني على الدين فالكرامة و الشرف و التقوى مبنية على الايمان لانها جميعا تتنافى مع مبدا (حب الذات) الانسان حين ممارسته للاخلاق لابد ان يكون له دافع لكي يرتضي الحرمان من شيء ما و بالايمان لا تعد التضحية حرمان بل تجارة و مكسب و كون الايمان و الاخلاق يرجعان الى سلامة الفطرة ثم تستطيع ان تعرف قيمة المعنويات و تتذوق لذتها و ذلك لان اساس كل فكرة معنوية هو الايمان بالله سبحانه و لما كان الحد الادنى للايمان هو الاعتقاد بان الله عادل و حكيم بهذا يحصل المؤمن من خلال ممارسته على الاطمئنان بان عمله مقبول عند الله (ان الله لا يضيع اجر المحسنين)(٥٤) فكل حرمان مادي فهو فوز من نوع اخر(٥٥) فاذا كانت العلاقة بين الدين و الاخلاق وثيقة و لا يمكن التفكيك بينهما وكذا العلاقة بين الاخلاق و الايمان و لكن ما هو دور الاخلاق مع سوء طوية الذات عادة امامنا طريقين الاول تحريك الانسان من خلال النفعية و الانانية و الانسان هنا لا يقبل ان يحرم من شيء بعمله التضحوي و يريد قباله منافع و الا فهو لا يرى للممارسة الاخلاقية جدوى لانها فقدت غايتها و الطريق الثاني العمل من اجل مرضاة الله سبحانه فاذا تعرض الانسان جراء الممارسة الى خسارة كالعفو و الاحسان هذه الامور اذا لم تكن على اساس من تقوى الله وطلب رضاه فانه لا قيمة لها و لا نحصل على غرس هذه القيم بالقسر و القهر ولذا فان الاخلاق بمعناها الاسلامي هي التي توفر لنا هذه الممارسات و اشاعتها بين الناس (٥٦) فالذي يبقى الحضارة مستمرة في قوتها و عطائها و استمرارها بالتقدم هي الاخلاق اذن فمن اجل هذا اللون من

البقاء لابد لنا من البحث عن العناصر التي تبقى الحضارة معطاءة لابنائها و لا يوجد ضمانة لهذا العطاء الا بالاخلاق فالمجتمع الذي تسوده العدالة يمكن ان يبقى متماسكا و لكن اذا استشرى الظلم و هدر الحقوق بسبب التمايز و اشاعة اللا اخلاق هنا تتعرض الحضارة للانهيار (و ما كان ربك مهلك القرى بظلم واهلها مصلحون) (٥٧) و لهذا نجد الهدف من بعثة الانبياء هو الاخلاق قال رسول الله (ص) : (انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) و لما كان الدين الاسلامي تتداخل قيمه و احكامه و افكاره لهذا تشكل الاخلاق العامل المشترك الذي تعتمده اصول الدين و مبادئه فالفقه الذي يؤطر للعلاقة بين الفرد و المجتمع و بين الانسان و نفسه ثم مع ربه و لكن الفقه لا ينفك عن الاخلاق فالفقه في مفهومه هو العلم بالاحكام ذات الصلة بالسلوك والافعال في المجالين المادي و المعنوي و ارتباط الحكم بالله سبحانه و الادلة التي تصدر من الكتاب و السنة و هذه الادلة المعتمدة في الفقه تتولى تحديد المصالح و المفاسد في الحياة و موضوع الفقه هو سائر الافعال الانسانية الباطنية و الظاهرية و لذا يلحظ ان كثير من العبادات و المعاملات تعتمد القصود و القصود مفهوم اخلاقي معنوي ثم نجد الفقه يتضمن تنظيم مختلف شؤون العلاقات و اصلاحها في الحياة غير المادية و الفقه في مفهومه هذا مساوق للدين وبناء على كون الفقه بهذه السعة تكون الاخلاق جزء من الفقه اما اذا حصرنا الفقه بمعناه الخاص و هو الاحكام التي تحدد الواجبات في نطاق البعد الفردي و الاجتماعي الافعال و التروك فهذا لا يشمل تمام المخطط الرباني الذي يعني بتعبير اخر الواجب و المحرم و المستحب و المكروه والمباح و هذا المعنى الخاص للفقه يطغى عليه الطابع القانوني و ان اعتمد الجانب الاخلاقي فموضوع الغيبة و الرياء و الغش و التدليس و ان كانت موضوعات فقهية الا انها اخلاقية في نفس الوقت و بهذا فالفقه الاصغر الذي يعني العبادات والمعاملات حسب تقسيم الفقهاء له غير شاملا للاخلاق لان في الاخلاق مفاهيم لا يتناولها الفقه الاصغر (٥٨)

نتيجة البحث

بعد ان عجز العقل المستقل و كذا المجتمع و الانسان الفرد ان يصوغ لنا نظرية حول الكون و عجزه أيضا عن صياغة نظرية في الاخلاق تنبثق عن الرؤية الكونية و قد سجل العقل الغربي رغم تقدمه المشهود في الميدان الفلسفي عجزه عن انبثاق نظرية متكاملة تربط بين الفلسفة و الأخلاق و بقي حائرا لذا تناول الاخلاق بمعزل عن الرؤية الكونية فتعددت مذاهبه تبعا للرؤية الكونية المتعددة التي اتصفت بالتناقض و الاختلاف و هكذا الامر بالنسبة للموقف حول الانسان .

اما الرؤية الكونية التي قدمتها الرسالة الاسلامية فقد امتازت بفضل ثقافتها التي تتسع لتشمل الكون و الانسان و التاريخ ان يترشح عنها فلسفة لاخلاق منسجمة مع الرؤية الكونية التي امتازت بخصوصية ربطها بين طاقات الانسان و مراعات اعتدالها و توازنها و دور القيم في تهذيب طاقات الانسان و سلوكه من جهة علاقاته مع الكون و الحياة وفق اسس أخلاقية تدفع به نحو الإعمار و الشراكة مع اخيه الانسان و تنمية روح الابداع و التجديد و التغيير و يدخل العلم الذي تلازمه التقوى و دور القيم في القدرة على بناء الحضارة وفق ما تؤسسه القيم و انسجام المبادئ الاخرى مع تلك النظرية القيمية بعد ان تشمل ميادين المعرفة الاخرى من ان تكون بديلا عن القيم كالعلم والدين وكالاخلاق العلمانية التي تستبعد الغيب و بهذا يثبت لدينا من ان الاخلاق بوجهة النظر الاسلاميه لا يمكن العمل بموجبها اذا انفصلت عن الرؤية الكونية بمنظومتها المعرفية و العلمية و لا يمكن ان تشيد الحضارة بدون العمل بالاخلاق التي انتجتها الرؤية الكونية بصورتها الاسلامية .

الهوامش

١. زيد عباس كريم / اسبينوزا الفلسفة الاخلاقية ط / ١- دار التنوير بيروت / ٢٠٠٨ ص ٦

٢. محمد تقي مصباح اليزدي كلمة حول فلسفة الأخلاق ط/ ١ - قم - إيران مؤسسة طريق الحق ١٩٩٣ ص ٦

٣. عبد الهادي الشريفي - الأخلاق النظرية ط / ١ - نكارش / إيران قم ٢٠٠٣ / ص ٢٠ نقلا عن عبد الرحمن بدوي / مدخل جديد إلى الفلسفة ص ١٩٦

٤. نفس المصدر م/ ص ١٥٥

٥. محمد جواد مغنية فلسفة الاخلاق - ط / ٢ مؤسسة دار الكتاب / قم إيران ٢٠٠٨ ص ١٨٠

٦. علي حسين الياسري الأخلاق والحضارة ط/ ١ - نكارش قم إيران ٢٠٠٣ نقلا عن الموسوعة الفلسفية المختصرة ص ٢٠

٧. علي حسين الياسري مصدر سابق ص ٢٠

٨. الشيخ مرتضى مطهري رؤى جديدة - ط/١ - قم إيران سنة ٢٠٠٦ الجزء ٦ ص ٥٢

٩. نفس المصر ج ٦ ص ٥٢

١٠. نفس المصدر ج ٦ص ٥٣

١١. علي حسين الياسري مصدر سابق ص ٢٠

١٢. البرت اشفيتسر فلسفة الحضارة ترجمة عبد الرحمن بدوي ط/ ١ دار الاندلس بيروت ١٩٨٥ ص ٤٠

١٣. علي حسين الياسري مصدر سابق ٢٦

١٤. عبد الرحمن بدوي / الاخلاق النظرية ص ٢٤ – ٢٢٦

١٥. البرت اشفيتسر / مصدر سابق ١٦٦

١٦. نفس المصدر ص ٣٣٦

١٧. ان من شروط النظرة الكونية : الوجود موجود ولابد ان يكون موجودا

_ اللاوجود (العدم) غير موجود ولا يمكن ان يكون موجودا

_ الوجود الافضل خيرا من الوجود الادنى

_ التعالى صفة تفوق قدرات الانسان

_ الكونية الفضلى هي الوجود الذي يجعل الانسان باحثا على الدوام عن ما هو افضل الله فهو الف وباء الوجود.

١٨. البرت اشفيتسر / مصدر سابق ص ٢٢٨

١٩. عبد الهادي الشريفي / مصدر سابق ص ٤٠

٢٠. البرت شفيتسر / مصدر سابق ص ٧٩

٢١. نفس المصدر ص ٢٢٦

٢٢. محمد جواد مغنية / مصدر سابق ص ٨

٢٣. محمد جوادي املي / محاضرات في الدين والعقيدة – دار الصفوة – بيروت ٢٠٠٩ ص ٢٧

٢٤. نفس المصدر ص ٢٤

٢٥. للمزيد من معرفة القصدية انظر Husserl وافكاره عن البعد الزمني والمادي وعلاقة ذلك مع الوصي

٢٦. وفي لحاظ يكون عنصرا منها فهذه الطبيعة بمعناها الاوسع هي تجلي الربوبية التي اختزلت في المخلوق الانساني الله هو رب الطبيعة والانسان معا .

٢٧. يمكن استثمار فكرة الغيب على ضوء القصدية المتعالية

٢٨. الاسراء - الاية ٧٠

٢٩. هاشم مرتضى / الديمقراطية وجهات نظر إسلامية ط /١ دار الغدير قم إيران سنة ٢٠٠٨ ص ١٥

٣٠. البقرة الاية ٣٠

٣١. الاعراف الاية ١٧٣

٣٢. الاحزاب الاية ٧٢

٣٣. الاسراء الاية ٧٠

٣٤. سورة العلق ٦

٣٥. البرت اشفيتسر / مصدر سابق ص ٢٨

٣٦. محمد تقي مصباح اليزدي / الأخلاق في القران / ترجمة محمد الصالحي ط/٣ مدرسة الإمام علي (ع) قم إيران الجزء ١ ص ٢٠

٣٧. سورة الجاثية ٤٥

٣٨. محمد حسين طباطبائي الميزان في تفسير القران ط٢ مؤسسة الاعلمي بيروت سنة ٢٠٠٢ الجزء ٥ ٢٦٠

٣٩. سورة الانفال ٦٢

٤٠. سورة مريم ٥٩

٤١. سورة الفرقان ٤٤

٤٢. البعض يذهب كون الحضارة كائن حي يهرم ويموت بناء على صحة ذلك فهي ليست قيمة مطلقة والبناء عليها يورث وهما .

٤٣. محمد حسين طباطبائي مصدر سابق ٦ م/ ١٣٧

٤٤. سورة البقرة ٢٩

٤٥. سورة الروم ٣٠

٤٦. الانشقاق ٦

٤٧. ولتر ستيس / الدين والعقل / ترجمة د. يسرى دار التنوير بيروت ٢٠٠٩ ص ١٤

٤٨. نفس المصدر ص ١٧

٤٩. محمد تقي الجعفري / مدخل إلى فلسفة الأخلاق / ترجمة أ مسعد امير / مجلة المنهاج العدد ٢٩ – ٣٠ سنة ٢٠٠٣ ص ٢٦٦

٥٠. عبد الهادي الشريف مصدر سابق ص ١٥

٥١. محمد تقي مصباح اليزدي الحقوق السياسية ترجمة محمد الصالحي ط/١ قم ايران ٢٠١٠ ص ١٢٨

٥٢. محمد تقي الجعفري / مصدر سابق ٢٥٤

٥٣. مرتضى مطهري / مصدر سابق ١ /١٥١

٥٤. سورة البقرة الاية ١٢٠

٥٥. مرتضى مطهري / مصدر سابق ٣ / ٢٧٢

٥٦. نفس المصدر ٣ / ٢٤٧

٥٧. سورة هود ١١٧

٥٨. محمد تقي الجعفري / مصدر سابق ٢٦٥

المصادر

١- زيد عباس كريم / اسبينوزا – الفلسفة الاخلاقية ط / ١ - ٢٠٠٨ دار التنوير بيروت

٢- عبد الهادي الشريفي / الاخلاق النظرية ط / ١ نكارش ايران – قم ٢٠٠٣

٣- محمد جواد مغنية / فلسفة الاخلاق ط / ٢ مؤسسة دار الكتاب قم ايران ٢٠٠٨

٤- علي حسين الياسري / الاخلاق والحضارة ط/١ نكارش قم ايران ٢٠٠٣

٥- الشيخ مرتضى مطهري / رؤى جديدة ط/١ قم ايران ٢٠٠٦

٦- البرت اشفيتسر / فلسفة الحضارة – ترجمة عبد الرحمن بدوي ط / ١ دار الاندلس بيروت

٧- الشيخ جعفر السبحاني / دروس في العقيدة ط/ ١ مؤسسة الامام الصادق قم ايران

٨- محمد جوادي املي / محاضرات في الدين والعقيدة – دار الصفوة بيروت ٢٠٠٩ .

٩- هاشم مرتضى / الديمقراطية وجهات نظر اسلامية ط /١ دار الغدير قم ايران ٢٠٠٨ تقديم عبد الرحيم الحصيني

١٠- محمد تقي مصباح اليزدي / الاخلاق في القران – ترجمة محمد الصالحي ط/٣ مدرسة الامام علي (٤) قم ايران

١١- محمد حسين الطباطبائي / الميزان في تفسير القران – ط/٢ مؤسسة الاعلمي- بيروت ٢٠٠٢

١٢- ولترشفيتسر / الدين والعقل – ترجمة د. يسرى – دار التنوير- بيروت ٢٠٠٩ ط/١

١٣- محمد تقي الجعفري / مدخل الى فقه الاخلاق – ترجمة – أ. مسعود اميد مجلة المنهاج العدد ٢٩ – ٣٠ سنة ٢٠٠٣